المؤسسات الخيرية ودورها
في تنمية العلاقات الدولية والتواصل الحضاري

إعــداد

أ.د. محمد خازر المجالي

عميد كلية الشريعة/الجامعة الأردنية

بحثٌ مقدَّمٌ إلى

« مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث »

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

٢٠ – ٢٢ يناير ٢٠٠٨ م



الملخص

يدرس هذا البحث دور المؤسسات الخيرية في تنمية العلاقات الدولية والتواصل الحضاري بين الشعوب والمجتمعات، وقد قسمته إلى أربعة مباحث جزئية، جاء المبحث الأول ليتحدث عن مخاطر النظام العالمي الرأسمالي في جعل الناس طبقات، ودور العمل الخيري في سد ثغرات الفقر، هذا بالرغم من الجهد الغربي نفسه في العمل الخيري، لكن النظام الغربي نفسه يسبب الكوارث ثم يقوم على المساعدة في حلها.

أما المبحث الثاني فيتحدث عن المشاعر الإنسانية المشتركة وموقف الإسلام من تنميتها من أجل تقارب الشعوب على اختلاف أديانها، حين نتذكر أن الإنسان مكرم في دين الله تعالى، وأن الناس قد جبلوا على حب من أحسن إليهم وكره من أساء إليهم.

أما المبحث الثالث فجاء للحديث عن موقف الإسلام من الآخر ما بين الولاء والبر، وهو أمر مهم يعيق سوء فهمه كثيراً من أبجديات العمل الإسلامي الخيري، بل العلاقات الإسلامية مع الآخر.

وأخيراً يتحدث المبحث الرابع عن البعد الدعوي للعمل الخيري، إذ لا يمكن الفصل بين المنظومة الإسلامية المتكاملة، التي من ضمنها بروز الشخصية الإسلامية الإيجابية المعطاءة، وفي الوقت نفسه تمام الخضوع لله تعالى عبادة والتزاماً.

المقدمــة

يهدف هـذا البحث إلى الإسـهام في تأهيـل العاملين في الحقـل الخـيري وتبصيرهم بأهمية البعد الإنسـاني للعمل الخيري، وأثره في ترابط الشـعوب وتنمية العلاقـات الدولية والتواصل الحضاري، فليس العامل في الحقل الخيري مجرد جاب للمال، أو باحث عمن يستحق المساعدة، ولا المقصـود تبرئـة الذمة من مال جمعناه لنضعه في يد مسـتحق له، فهـذه وإن كانت في عمومها أموراً مهمة لتبعدنا عن شبهات العمل الخيري، إلا أننا بحاجة إلى ما هو أسمى من التعامل المالي والخيري المجرد، وأسـمى من مجرد التأهيل الشـكلي باسـتخدام التكنولوجيا أو اللباس الأنيق للعاملين، وغير ذلك من الأمور المطلوبة، ولكن الأهم في نظري هو التأهيل الفكري والشرعي للعاملـين في الحقـل الخيري، وأخص الجانب الفكري المسـتند إلى الجانب الشرعي والإنسـاني، فنحـن بحاجـة ماسـة إلى من يرتقي بأخلاقـه وتعامله وبعـده الفكري إلى رحابـة ديننا العظيم، وآفاق رحمة الإسلام للعالمين، والنظر في مآلات الأمور ومقاصدها الشرعية، الأمر الذي يصنع من موظف العمل الخيري صاحب فكر ودعوة وسعة أفق ورحابة صدر، تماماً كرحابة الإسلام، وشموليته وواقعيته في التعامل، ورحمته للعالمين.

إن البعـد الإنسـاني في الشريعـة الإسـلامية واضـح وضوح الشـمس في رابعـة النهار، إن الشريعة جاءت لحفظ مصالح الناس، وهي خير كلها، سواء فيما حرمت أو ما أحلت، فالتحليل والتحريم يدوران مع مصالح الناس، أدركوا ذلك أم لا. فالإنسان موضوع الرسائل السماوية، وهـذا بـيّن في قوله تعالى: «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة...»، والإنسـان هو المبتلى في هذه الحياة، وهو الذي له ترسل الرسل وتنزل الكتب، فموضوع الإنسان في القرآن لا يمكن إغفاله.

وإذا عرفنا ذلك أدركنا أهمية التركيز على الجانب الإنسـاني، بغض النظر عن الدين واللون واللغة، فالإنسـان إنسـان يأنس ببني جنسـه، والجوامع بين البشر كثيرة، ولا يجوز نبذ الإنسـان ابتداء، بل لا بد من المحاولة تلو المحاولة معه، دعوة وإرشاداً ونصحاً، وفي النهاية يبقى إنساناً،

لا نشمت به، ولا نيأس من خير موجود فيه قد غطاه، فالفطرة موجودة فيه، ولكنه أجرم بحقها، يحـاول إنكارها، يحاول ويكابر ويتآمر على فطرته، أمـا مصيره فالله أعلم به، ولكن الذي يهمني هو أن لا أقصّر معه في هذه الدنيا.

إن هنـاك من المبادئ ما به نسـمو في شريعتنا فوق مبـادئ البشر، وقوانين البشر، ونظريات البشر، هذا الذي نراه من جحيم يحكم العالم، حيث ازدراء الإنسـانية، وشـيوع الاستعباد بأقبح مظاهـره الخادعـة، وليت الكل يعرف حقيقة ما عليه عالمنا مـن بؤس وفقر وظلم في زاوية، وما فيـه من بطـر وتبذير وغنى من جهة أخرى، فما عادت الإنسـانية موضوعاً مهماً حتى للمنظمات التي وجدت من أجل رعايتها، ومن نعم الله علينا أن ذلك انكشـف أمره، فتكنولوجيا الإعلام فضحت المسـتور وكشفت عن حقيقة وجه ما يسمى بالحضارات، وهي في حقيقتها مدنيات لا حضارات، فالحضارة بُعدها إنسـاني لخدمة الإنسـان، بينما المدنية تطـور وعمران وآلة، حتى لو دمرت الإنسان.

إن حاجات الإنسان وحقوقه جزء من إنسانيته، بها يسمى إنساناً، وأقلها متطلبات العيش الضروريـة من طعام وماء ومسـكن، وهناك من الحقوق ما يرتقي بإنسـانيته، كالحرية والتملك والإرادة والمحاسـبة وغيرها، ومن شـأننا كمؤسسـات إسـلامية خيرية أن نرتقي بالإنسـان إلى مستوى إنسانيته، حين نزيل بعض العقبات من أمامه، ونسعفه في تحقيق الأمن الغذائي ومن ثم الأمن الاجتماعي بشـكل عام، الأمر الذي يبعث على إنشـاء مجتمعات صالحة مستقرة تتطلع إلى مزيد من التقدم الحضاري، حين تطرد شبح الخوف والجوع وتتيقظ للعلم والعلاقات الإنسانية والدعوة إلى علاقات إنسانية راقية.

إن العمـل الخـيري القائم عـلى الإغاثة العالمية، والـذي يعين الإنسـان في أزمات الحروب والنكبات، والذي يلعب الدور الأهم في محاربة الفقر وتعزيز القيم الإنسـانية، لهو جدير بتنمية العلاقات الدولية من جهة، وبتعميق التواصل الحضاري الإنساني بين الشعوب.

ولعـل تنمية العلاقـات الدولية أمر واضـح الحصول والوقوع عنـد الأزمات، وهذا شيء يشـكر للدول مجتمعة حين تضامنها في أوقات النزاعات والحروب والكوارث الطبيعية، ولكن الـذي بحاجـة إلى تركيز أكثر هو الانفتاح بين الشـعوب، والتواصل الحضـاري بينها، كي تنمو الأهداف الإنسانية الأسمى بين الناس.

ومن هنا فإنني أقسم البحث إلى النقاط التالية، لتشكل كل نقطة مبحثاً مستقلاً:

١ – النظام العالمي الرأسـمالي وخطره في جعل الناس طبقات، ودور العمل الخيري في سـد ثغرات الفقر.

٢– المشاعر الإنسانية المشتركة وموقف الإسلام من تنميتها من أجل تقارب الشعوب على اختلاف أديانها.

٣– موقف الإسلام من الآخر ما بين الولاء والبراء .

٤ – البعد الدعوي للعمل الخيري.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول

النظام العالمي الرأسمالي وخطره في جعل الناس طبقات

دور العمل الخيري في سد ثغرات الفقر

ما برح العالم يودع النظام الشيوعي الماركسي الاشتراكي، حتى انفرد النظام الرأسمالي بتوجيه الاقتصاد العالمي وإدارته، أما النظام الإسلامي فأهله أضعف من أن ينشروه خارج نطاق بعض الدول الإسلامية، وبهذا تكرس الظلم الاجتماعي ونما، وازداد الغني غنىً والفقير فقراً، وهذه من أهم ملامح النظام الرأسمالي.

ولعل الأرقام تسعفنا في إظهار أخطار النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي، والوضع البئيس الذي تعيشه كثير من الدول، لعل ذلك يسهم في تبصير العاملين في الحقل الخيري بعظم المسؤولية، وجذور البلاء، وعمق المأساة الإنسانية، والبعد الفكري العميق لشياطين الإنس وهم يتحكمون باقتصاد العالم من جهة، وابتزاز أموال الأثرياء من أبناء المسلمين من جهة أخرى.

لننظر إلى مثل هذه الأرقام:

- إن حوالي ٢٠٪ من سكان العالم يحصلون على أقل من ٣٠ دولار شهرياً و٨, ٢ مليار من سكان العالم يحصلون على أقل من ٦٠ دولار شهرياً، أي إن ٢, ١ مليار إنسان تحت خط الفقر، في حين يحصل ٣٥٨ مليارديرعلى ما يحصل عليه ٥, ٢ مليار نسمة في العالم.

- إن نسبة البطالة في العالم العربي هي ما بين ٤٠٪ - ٦٠٪.

- إن حوالي ٢٠٪ من دول العالم يحصلون على ٨٥٪ من الناتج العالمي.

- يعيش حوالي (٢) مليار إنسان دون كهرباء.

- هناك ٤٣ طفلاً يموتون من الجوع كل ٥ دقائق، و١٠ أطفال يموتون بسبب مرض الملاريا كل ٥ دقائق، و (٢١) شخص يموت بسبب مرض الإيدز.

- أما الديون على الدول النامية فقد كانت ٥٢٩ مليار دولار عام ١٩٨٠ ونفس الديون أصبحت ١٩٥٦ مليار دولار عام ٢٠٠١ وما سدد خلال تلك الفترة هو ٣٧٨٤ مقابل خدمة الدين أي أن الدائن استرد أمواله مضاعفة بنسبة ٧١٠٪ خلال عشرين عام وما زال الدين قائماً على المدين، وهذا بسبب النظام الربوي.

- أما الديون العربية فقد كانت عام ٢٠٠٠: (٣٢٥) مليار دولار، بينما كانت ٤٩ مليار دولار عام ١٩٨٠، فهي بازدياد مستمر.

- أما الماء، فإن نصف أنهار العالم مصنفة كأنهار ملوثة.

- أما التبادل التجاري العالمي، فإن ٧٥٪ من حصصها تستحوذ عليها الدول المتطورة، بينما تستورد هي ما نسبته ٢٦,٩٪ فقط من الدول النامية.

- إن حوالي ٥٠٠ شركة عالمية تسيطر على ٥٠٪ من السلع المادية المنتجة بالعالم.

- حوالي نصف مواطني القارة الأفريقية يعيشون تحت مستوى الفقر[١].

إن مثل هذه الأرقام تظهر ما يلي:

١- إن مثل هذا النمط من إدارة اقتصاد العالم يصطدم بوجود الأفكار الأخرى، ولذلك فإن تيار العولمة مثلاً يضع الدين الإسلامي والأفكار التي تدعو إلى التعامل مع العالم بشكل شمولي في قائمة الأعداء، ويتخذ من الصدام والصراع مع الحضارات والنظم المختلفة أسلوباً للتصادم ولحل مشاكل التنوع والاختلاف.

(١) ينظر: المصطفى ولد سيدي محمد، (تأثير منظمة التجارة العالمية على الاقتصاد العالمي).

٢- إن الذي يغلب على النظام العالمي الرأسمالي هو سلطة المراكز ولا توجد مميزات إلا لها.

٣- الاستغلال الرأسمالي للتقنية يؤدي الى ارتفاع نسبة البطالة.

٤- إن الملحوظ أن سياسات الخصخصة التي تشجعها معظم الحكومات تؤدي إلى احتكار السلع والخدمات وارتفاع الأسعار.

٥- زيادة الكوارث البيئية كما تُظهر أرقام مؤتمرات الأرض.

وفي سياق الحديث عن العمل الخيري، فإنه يقلص الفجوة بين الأغنياء والفقراء، أو على الأقل فإنه يشغل الفقير بكسب قوت يومه ويشعره بالأمل، ولعل الأفضل من سد العوز هو إنشاء المشاريع التي تكفل ديمومة رفد الفقير بالمرتب الشهري، حين يعمل الفقير ويكد، لا بمجرد أن يأخذ صدقة ويبقى عالة على الأغنياء.

وهذا الشيء هو الذي نوصي به للمؤسسات الخيرية، في إقامة المشاريع العامة، لا إعطاء الصدقة، فالصدقة ضرورية لسد عوز آنيّ، وللضرورة، أما العمل الأصح فهو المشروع النامي، الذي يغذي نفسه بنفسه، ويباركه الله تعالى، ولنتذكر موقف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حين جاءه سائل يطلب المال، فأعطاه فأساً، وأرشده أن يأكل من كسب يده، وفي هذا ما فيه من عزة للإنسان، وحفظ لكرامته، وبهذا يأخذ المنهج الإسلامي بعين الاعتبار لا سد العوز فقط، بل بناء المجتمع السليم من النقص، والسليم من الآفات الاجتماعية، ومراعاة شعور الفقير وعزة نفسه وإيجابية عطائه.

والعمل الخيري المصحوب بالفكر الإسلامي المراعي للإنسانية يرتفع بقيم الإنسان، ويكسبه ثقة بالنفس من جهة، وشعوراً بالإنسانية من جهة أخرى، فليس الفقر عيباً ومذمّة، وليس الفقر نهاية الطريق والأمل، وليس الفقر حاجباً عن الإبداع والعلم والإسهام في دفع المسيرة الحضارية الإنسانية.

المبحث الثاني

المشاعر الإنسانية المشتركة وموقف الإسلام من تنميتها من أجل تقارب الشعوب على اختلاف أديانها

من المعروف علمياً واجتماعياً ونفسياً أن الناس جُبلوا على حب من أحسن إليهم وكره من أساء إليهم، فالعلاقة الطيبة بين البشر مسألة لا بد منها من أجل صلاح العلاقة بينهم من جهة، ومن أجل بناء جسور المحبة والتفاهم وتبادل المشاعر والأفكار من جهة أخرى، ولعل المنظومة الأخلاقية الإسلامية الشاملة لجنس الإنسان خير دليل على ذلك، فالأخلاق في الإسلام ليست نفعية، ولا خاصة بأحد دون آخر، ولكنها مع الناس كلهم، بل مع الحيوان والجماد والبيئة.

ونظام أخلاقي هذه أبعاده حقيق بأن يرعى المشاعر الإنسانية، ويقترب منها ليرعاها بالفعل والكلمة الطيبة، فالإنسان إنسان، له مشاعره المشتركة معنا، ولو خالفنا في اعتقاده ومسلكه، بيننا قواسم كثيرة يمكن الاشتراك معه فيها. ويهمنا في هذا الجانب أن نكون وسيلة رحمة وعطف وحنان، بعيداً عن الابتزاز والمصالح الذاتية، فإن الإحسان إلى الإنسان لإنسانيته أمر يرفع من قيمة الإنسان، ويدفع عنه شبهات المصالح المتبادلة، وهذا الأمر سيفتح له آفاق الفكر مع العاطفة، الحب الممزوج بالبحث عن مجهول، لماذا يحسن هؤلاء إليّ؟ وما هي مشاعرهم تجاهي؟ ولعل الجواب يأتي ولو بعد حين، حين يدرك الإنسان سعة رحمة الله، وعظمة مبادئ هذا الدين.

وعلى كل حال، فإن مبدأ إيصال الخير إلى الناس غير مرتبط بدين، ولا ينتظر منه إسلام ذلك الشخص، فالمطلوب عمل الخير، والنتائج نكلها على الله تعالى، مع حسن متابعة لها، وفي هذا سد للطريق أمام أولئك الذين يفرقون بين الشعوب، ويبنون الحواجز بينها، بل يؤججون العداوة بينهم، فما بيننا كبشر أسمى من أن يعكره هؤلاء الذين يتآمرون على البشرية، ويصنفون البشر بناء على اللون والعِرق والدين واللغة.

إن تعلق الفقير بمن يرعاه أمر فطري يدفعه إليه مبدأ شكر المحسن، وفي ديننا (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)، فإذا تعلق الفقير بمن أحسن إليه فربما يقوده هذا إلى اتباع فكره ومبدئه، ولا نكون مبالغين إذا قلنا بأن المؤسسات التبشيرية (التنصيرية) قد ركزت على هذا الجانب، وبذلك فنحن أَوْلى منها في ذلك، وإني لأعجب من جرأة أولئك بالرغم مما هم فيه من باطل، ومن تراجعنا ونكوصنا بالرغم مما نحن عليه من الحق.

إنّ على العاملين في الحقل الخيري أن يدركوا أنّ تمتين العلاقات بين الشعوب بعيداً عن اللون والدين واللغة أمر بحد ذاته دينيّ مقصود لذاته، فنحن بين مجموعة من المنظومات الدينية والاجتماعية التي يغلب عليها تصنيف الناس، وديننا الإسلامي شرع من الأحكام الراقية التي تسمو بالإنسان ما شرع، ومنها أخوة الجنس البشري، ووحدة الجنس البشري، وأن ميزان التفاضل الحقيقي هو التقوى ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[١]، وأن هذه ليست شعارات ترفع فقط، بل واقع عاشه المسلمون فيما بينهم من جهة، وبين الآخرين من جهة أخرى، أما الآخرون فهي عندهم في الغالب مزاعم أكثر منها حقائق، ولا أبالغ إن قلت إن في أمريكا التي تزعم أنها أم الحضارات الآن فيها كنائس خاصة للبيض وأخرى للسود، هذا في أتباع الدين الواحد، فماذا نظن مع الديانات الأخرى[٢].

وإذا انتقلنا إلى شعوب أخرى وأفكار أخرى، فقد صنفوا العالم أصنافاً مزرية أوصلت بعضهم إلى الحيوانية. ولا عجب أن نجد قادة العالم الآن يشفقون على الكرة الأرضية وأن

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) وقد رأيت هذا بعينيّ، حين زرت الولايات المتحدة الأمريكية في تموز/ يوليو ١٩٩٩ للمشاركة في دورة حول الدين في أمريكا، وتضمنت الدورة زيارة لدور العبادة عند الديانات الثلاث، ومنها الكنائس التابعة للفرق النصرانية، الكاثوليكية والبروتستانتية، وعجبت حين زرنا مع مجموعة من المشاركين في المؤتمر كنيسة للبروتستانت في مدينة فيلادلفيا، وكل روادها من السود، وزرنا أخرى في نيويورك وكانت للبيض ولا أسود بينهم، بالرغم من وحدة الدين، بل وحدة الكنيسة التي هي البروتستانتية.

خيراتها لا تكفي لهذا الكم من البشر، ويبحثون عن طرق للخلاص من جزء منهم. ولعل الإحصاءات المذكورة أعلاه تبين بطريقة أو بأخرى حجم الجشع العالمي، ومبادئه الاستعبادية البعيدة عن روح تنمية المبادئ الإنسانية، بل تكريس الهوة بين الشعوب واستعبادها عن طريق النظام الربوي المفضي إلى الاستعمار الاقتصادي، وهو الاستعمار الحقيقي اليوم لكثير من الدول بما فيها الإسلامية.

وفي سياق الحديث عن بناء العلاقات الإنسانية في الإسلام، فلا بد من إلقاء الضوء على أهم تلك الأُسس، ومنها [١]:

– العدل في المعاملة والحكم مع الجميع، بغض النظر عن أديانهم وأجناسهم وألوانهم، وقد جاءت النصوص التي تحض وتأمر بالعدل حتى مع الأعداء والأولياء، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقَيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** ﴾،[٢] وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [٣]، وهذا مبدأ إسلامي راقٍ يسمو بالإنسان ويعيد له اعتباره وحريته وحقوقه وشعوره بإنسانيته، ويدفع به كي يكون إيجابياً في حياته.

– احترام كرامة الإنسان، فبنو آدم مكرمون كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ** ﴾ [٤]، والأصل واحد، ومرجعنا إلى نفس واحدة كما قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ**

---

(١) ينظر: صبحي الصالح، (النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها)، ص: ٣٧٢-٣٧٣.

(٢) سورة النساء: ١٣٥.

(٣) سورة المائدة: ٨.

(٤) سورة الإسراء: ٧٠.

﴿ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١)، وقد جعلنا الله تعالى شعوبًا وقبائل لنتعارف ونتآلف، لا لنختلف ونتنافر، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾،(٢) وقال صلى الله عليه وسلم: « إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عَبِيّة (أي: نخوة) الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدعنّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن » (٣).

– الحث على التعاون الإنساني على نصرة المظلوم، وعون الملهوف ودفع الظلم، والتعاون في ديننا أصل من أصول الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾،(٤) وسياق الآيات يتحدث عن علاقة المسلم بغيره، بل بأولئك الذين صدوهم عن المسجد الحرام: ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى ... ﴾، فكيف بمن لم يعتد عليّ ولم يظلمني!؟ فالأمر في حقه أدعى بالتعاون على البر والتقوى.

– بناء العلاقات الإنسانية على التسامح، فكثيرة هي الآيات الآمرة بالصفح والعفو والإعراض عن الجاهلين، وهو أساسٌ طبّقه الرسول صلى الله عليه وسلم في سلمه وحربه، فما عُرف عنه غير ذلك في حواره مع الوفود التي وفدت إليه في عام الوفود، ولا في بدايات العهد المدني كما جرى مع وفد نصارى نجران، وكما حدث في غزوة بني المصطلق، وفي فتح مكة، وطبّقه في معاهداته كما جرى عام الحديبية.

– راعت الشريعة الإسلامية الحرية الشخصية في بناء العلاقات الإنسانية، وأهم ألوان هذه

---

(١) سورة النساء: ١.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) رواه أبو داود في سننه برقم: ٤٤٥٢، ورواه أحمد في المسند برقم: ١٠٦٣٦.

(٤) سورة المائدة: ٢.

الحرية حرية الاعتقاد، كما قال تعالى: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾،(١) ونلحظ كيف جاءت الآية بهذه الصورة (لا إكراه في الدين)، مع أن الإكراه جاء في القرآن متعدياً بـ(على)، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ** ﴾،(٢) وقوله ﴿ **وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ** ﴾،(٣) ولكن أن يأتي هنا بصيغة (في الدين)، فالذي أميل إليه هنا أن الآية لا تتحدث عن الإكراه في موضوع الاعتقاد فقط، بل إن النص أعمق من ذلك، إنه ينص على نفي مبدأ الإكراه عموماً من الدين الإسلامي، فلا إكراه في ديننا، سواء في أمور الاعتقاد أم غير ذلك، وهذا مبدأ رائع يسمو بالإنسان ويحقق كرامته ويحترم اختياره، أخذاً بعين الاعتبار التشريعات الأخرى التي تنظم الحياة والحرية وحقوق الآخرين، فلا يمكن الفصل بين مثل هذه المبادئ وبين منظومة الأخلاق الإسلامية.

– تأكيد مبدأ الفضيلة في معاملة الناس وحمايتهم في كل الأحوال واعتبارها أساس العلاقات الدولية في الحرب والسلم. وقد حفظ التاريخ تلكم الوصية الخالدة التي كان يوصي بها الرسول صلى الله عليه وسلم جيوشه عندما بقوله: « اخرجوا باسم الله، تقاتلون في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع » (٤).

– وفي موضوع الزكاة على وجه التحديد، فهناك فروق بين تشريعها المؤكَّد في ديننا، وبين موقعها كعمل خير في الديانات الأخرى، فهي في ديننا فريضة وركن من أركان الإسلام، وشعيرة من شعائره الكبرى، وهي حق للفقراء في أموال الأغنياء، وليس فيها معنى من معاني التفضل والامتنان من الغني على الفقير، وهي حق معلوم، قدّر الشرع نصبه ومقاديره وحدوده وشروطه ووقت أدائه، ولم يوكل أمر هذا الحق لضمائر الأفراد فقط، وإنما حُملت الدولة الإسلامية مسؤولية جبايتها وتوزيعها بالحق (٥).

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) سورة النور: ٣٣.

(٣) سورة طه: ٧٣.

(٤) رواه أحمد في المسند بإسناد حسن.

(٥) ينظر في هذه الفروق: يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، ١ : ٨٦ وما بعدها.

ولعل هذه النقاط التي بيناها تثير عند بعض المسلمين شيئاً من الحيرة، كيف نبني الأخوة الإنسانية، بينما نجد في ديننا مسألة أكد عليها القرآن الكريم، بل شرع الجهاد من أجلها، وهي مبدأ الولاء والبراء، وتعبيد الناس لربهم، فماذا عن هذا الأصل في ديننا، وكيف نوفق بين النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، التي تكفل لنا موقفاً بعيداً عن المجاملة، بل بقناعة تامة أن ما نقوم به هو أمر ديني وإنساني معاً، وهذا ما سنبحثه في المبحث القادم.

ولكن قبل ذلك لا بد من إلقاء الضوء على بعض الأرقام التي تدل على أن معظم شعوب العالم وحكوماته تعنى بهذا العمل الخيري، بغض النظر عن النوايا والمقاصد من ورائه، ولكنها الأرقام فقط، التي تحثنا من باب أولى نحن المسلمين على التقدم لعمل الخير، فعلى سبيل المثال، يوجد في الولايات المتحدة مليون ونصف المليون جمعية ومنظمة غير ربحية، وكلها معفاة من الضرائب، كما أنها تخصم من الوعاء الضريبي للشركات والأفراد، بل كثير من هذه المنظمات الأمريكية من حقها القانوني العمل خارج الولايات المتحدة في ساحات النزاع والصراع، و تؤكد الإحصاءات أن ٤٧٪ من هذه المنظمات يقوم على أساس ديني. بل إن البيت الأبيض يقدم مكآفات سنوية للمتميز من هذه الجمعيات، والمذهل أنه يتم الترخيص يوميًّا لـ ٢٠٠ جمعية تعمل في هذا المجال، وينتظم في هذا القطاع قرابة ١١ مليون نسمة حسب بعض الإحصاءات، بينما بلغت إيراداته حوالي ٢٤٨ مليار دولار في عام ٢٠٠٤م. منها ٨٨ مليار دولار لأغراض دينية أي نسبة (٥, ٣٥٪.).

ويعتبر الشعب الأمريكي من أكثر الشعوب تبرعًا للقطاع الخيري، وكمثال على ذلك وقفية (بيل غيتس) وزوجته (مليندا) التي يبلغ رأسمالها ٢٤ مليار دولار. ويذكر أن ثلاثة متبرعين فقط قدموا لهذه الجمعيات أحد عشر مليار دولار تبرعات في عام ٢٠٠٠م وحده، وتسعة مليارات دولار في عام ٢٠٠١م. و ٩, ٦ مليارات دولار في عام ٢٠٠٤م .

هذا في حين أن المنظمات الخيرية في كل أقطار العالم العربي مجتمعة لا تصل من حيث العدد إلى مجموع المنظمات التطوعية في ولاية أمريكية واحدة!! كما أن حجم أموال العمل الخيري

الإسلامي حسب تقديرات خبراء العمل التطوعي تقدر بـ ٥٠٠ مليون دولار وهو رقم أقل من حجم أعمال مؤسستين أميركيتين، هذا فضلا عما تتعرض له مؤسسات العمل الخيري الإسلامي من ضغوطات وعمليات مستمرة من التضييق والتجميد والاتهامات والتشهير.

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث

موقف الإسلام من الآخر ما بين الولاء والبراء

إن النظام الإسلامي متوازن شامل واقعي، ولا توجد في أحكام القرآن وآياته ما هو متعارض تعارضاً حقيقياً، والله تعالى يقول عن القرآن: ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا** ﴾ (١)، ولسنا في معرض التفصيل في هذا الموضوع، ولكن لنقرر مبدأ التعاون بين الشعوب والأمم بغض النظر عن الدين واللغة واللون، ولعل خلاصة هذا الأمر موجودة في قوله تعالى: ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ (٢).

تشكل هاتان الآيتان المفهوم الصحيح للولاء والبراء، فمن معاني الولاء: المناصرة والمصافاة والعبادة، أما البراء فهو الترك والبعد عن الشيء، وباختصار فالولاء هو لله ورسوله والمؤمنين، والبراء هو مما سواهم، فالله تعالى يقول: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ (٣)، ففي الآية تحديد وقصر للولاء أن يكون لله ورسوله والمؤمنين، وهذا ينصرف ابتداء إلى المناصرة والمصافاة والإسرار بالأمور المهمة، ومن هنا فلا يكون هذا إلا لمن سماهم الله تعالى، والسؤال الآن هو: هل العلاقات الإنسانية هي مناصرة وأمور سرية ؟ أم أنها تتعدى ذلك إلى العلاقات الإنسانية ؟

---

(١) سورة النساء: ٨٢.

(٢) سورة الممتحنة: ٨-٩.

(٣) سورة المائدة: ٥٥-٥٦.

إن الآيتين الســابقتين من ســورة الممتحنة تجيبان عن الســؤال، حين فرقت الآيتان بين البر والموالاة، وفرقت بين فريق معادٍ ناصبنا العداء وآخر لم يحاربنا ولم يتآمر علينا ولم يمكر بنا، وهذا هو منطق الأمور، فلا يجوز مساواة هؤلاء بأولئك وإن كانوا غير مسلمين.

إن غير المسلمين يشتركون جميعاً في أنهم غير أولياء لنا، ولكن هذا لا يعني معاداتهم جميعاً، فقــد شرع الله لنا أن نبر من لم يعادينا، وهــذا هو الإنصاف الحقيقي الراقي الحضاري الذي يحثنا عليــه ربنا تعالى، فالمعاملة هــي بالمثل، فالمعتدي نناصبه العداء، وابتداء فــلا ولاء بيننا وبينه، أما غير المعتدي، فهو وإن كان غير مؤمن ولا يجوز اتخاذه ولياً، فالأمر بشأنه أنه نحسن إليه، ونبره، ويكون بيننا كل أنواع التعاون الإنساني، باستثناء ما حرمه الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد جاء في ســبب نزول الآية أن أســماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ســألت النبي صلى الله عليه وسلم: هل تصل أمها حين قدمت عليها مشركة؟ قال: نعم [١].

ولنــا في هــذا الســياق أن نبرز بعض ملامح رحمــة الله تعالى التي أودعهــا النفس البشرية في تعاملهــا مع الآخرين، مثال ذلك: أن النبي صلى الله عليه وســلم قال: « بينا رجل بطريق اشــتد عليــه العطش فوجد بئراً فنــزل فيها فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماءً فســقى الكلب فشــكر الله له فغفر له، قالوا يا رســول الله وإن لنا في البهائم لأجراً؟ فقال: في كل ذات كبــد رطبــة أجر » [٢]، وفي المقابل فهناك امــرأة دخلت النار في هرة، فعن ابن عمر رضي الله عنهــما عن النبي صلى الله عليه وســلم قال: « دخلت امــرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض » [٣].

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٨: ٥٩.

(٢) رواه البخــاري في صحيحــه برقم: ٢٢٨٦، وقال ابن حجر في قولــه : (في كل كبد رطبة أجر) أي كل كبد حية، والمراد رطوبة الحياة، أو لأن الرطوبة لازمة للحياة فهو كناية، ومعنى الظرفية هنا أن يقدر محذوف، أي الأجــر ثابــت في إرواء كل كبد حية، والكبد يذكر ويؤنث، ويحتمل أن تكون « في » ســببية كقولك في النفس الدية، قال الداودي: المعنى في كل كبد حي أجر وهو عام في جميع الحيوان.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم: ٣٠٧١ وغيره من المواضع.

وإذا انتقلنا إلى مبدأ (المؤلفة قلوبهم) في الفقه الإسلامي، فإنه صورة رائعة في تسخير المال والعطايا في سبيل تأليف قلوب الناس وترغيبهم في دخول الإسلام، أو كف شرهم عن أذى المسلمين، والمؤلفة قلوبهم هم الصنف الرابع من أهل الزكاة الوارد حصرها فيهم في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ (١)، وهم السادة المطاعون في عشائرهم أو مجتمعاتهم أو مراكز انتمائهم، ممن يرجى بعطائه إسلامه، أو كف شره، أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو يسر جباية الزكاة ممن يمنعها، أو يرجى بعطائه دفعه عن المسلمين الشر أو نحو ذلك، مما يعود على الإسلام والمسلمين بالمصلحة، سواء كان من يعطى لتأليف قلبه مسلماً، أو كان كافراً، فقد ألف صلى الله عليه وسلم قلوب كفار بالعطاء فأسلموا (٢).

وقال الطبري في تفسيره: « إن المؤلفة قلوبهم أناس من الأعراب، ومن غيرهم، كان النبي صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية كيما يؤمنوا » (٣).

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: «والمؤلفة قلوبهم نوعان كافر ومسلم، فالكافر إما أن يرجى بعطيته منفعة كإسلامه أو دفع مضرته إذالم يندفع إلا بذلك، والمسلم المطاع يرجى بعطيته المنفعة أيضاً؛ لحسن إسلامه أو إسلام نظيره، أو جباية المال ممن لا يعطيه إلا لخوف أو لنكاية في العدو، أو كف ضرره عن المسلمين إذا لم ينكف إلا بذلك». (٤)

أما الدكتور يوسف القرضاوي فيذكر من أقسامهم:

---

(١) سورة التوبة: ٦٠.

(٢) ينظر مجلة البحوث الإسلامية، العدد التاسع والعشرون، ١٤١٠هـ، مقالة للشيخ عبد الله بن منيع حول مصرف المؤلفة قلوبهم، الصفحات: ١١١-١١٤.

(٣) تفسير الطبري، ١٤/ ٣١٤.

(٤) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٨/ ٢٩٠.

– من يرجى بعطيته إسلامه أو إسلام قومه وعشيرته، كصفوان بن أمية الذي وهب له النبي صلى الله عليه وسلم الأمان يوم فتح مكة، وأمهله أربعة أشهر؛ لينظر في أمره بطلبه، وكان غائباً فحضر وشهد مع المسلمين غزوة حنين قبل أن يسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم استعار سلاحه منه لما خرج إلى حنين، وقد أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم إبلاً كثيرة محملة، كانت في واد، فقال هذا عطاء من لا يخشى الفقر. وروى مسلم والترمذي عن طريق سعيد بن المسيب عنه قال: والله لقد أعطاني النبي صلى الله عليه وسلم وإنه لأبغض الناس إلي فما زال يعطيني حتى إنّه لأحب الناس إلي. وقد أسلم وحسن إسلامه.(١) ومن هذا القسم ما رواه أحمد بإسناد صحيح عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسأل شيئاً على الإسلام إلا أعطاه، قال فأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثيرة بين جبلين من شاء الصدقة، قال فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة».

– ومنهم من يخشى شره ويرجى بإعطائه كف شره وشر غيره معه، كما جاء عن ابن عباس: «أن قوماً كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم، فإن أعطاهم من الصدقات مدحوا الإسلام، وقالوا: هذا دين حسن، وإن منعهم ذموا وعابوا».

– ومنهم من دخل في الإسلام حديثاً فيعطى إعانة له على الثبات على الإسلام. سئل الزهري عن المؤلفة قلوبهم، فقال: من أسلم من يهودي أو نصراني، وإن كان غنياً. قال: وإن كان غنياً. وكذلك قال الحسن: هم الذين يدخلون في الإسلام، وذلك أن الداخل حديثاً في الإسلام قد هجر دينه القديم، وضحى بما له عند أبويه وأسرته، وكثيراً ما يحارب من عشيرته، ويهدد في رزقه، ولا شك أن هذا الذي باع نفسه، وترك دنياه لله تعالى جدير بالتشجيع والتثبيت والمعونة.

– ومنهم قوم من سادات المسلمين وزعمائهم، لهم نظراء من الكفار، إذا أعطوا رجي إسلام نظرائهم، واستشهد لذلك بإعطاء أبي بكر رضي الله عنه لعدي بن حاتم والزبرقان بن بدر، مع حسن إسلامهما؛ لمكانتهما في أقوامهما.

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل (٢٣١٢) ، مسند أحمد بن حنبل (٣/ ٢٨٤).

– ومنهـم زعـماء ضعفاء الإيمان من المسـلمين، مطاعـون في أقوامهم، ويرجـى بإعطائهم تثبيتهم وقوة إيمانهم، ومناصحتهم في الجهاد وغيره، كالذين أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم العطايا الوافرة من غنائم هوازن، وهم بعض الطلقاء من أهل مكة، الذين أسلموا، فكان منهم المنافق، ومنهم ضعيف الإيمان وقد ثبت أكثرهم بعد ذلك وحسن إسلامهم.

– ومنهم قوم من المسـلمين في الثغور وحدود بلاد الأعداء، يعطون؛ لما يرجى من دفاعهم عمن وراءهم من المسلمين إذا هاجمهم العدو.

– ومنهم قوم من المسلمين يحتاج إليهم لجباية الزكاة ممن لا يعطيها إلا بنفوذهم وتأثيرهم، إلا أن يقاتلـوا فيختـاروا بتأليفهـم وقيامهم بهذه المسـاعدة للحكومة أخـف الضررين وأرجح المصلحتين. وهذا سبب جزئي قاصر فمثله ما يشبهه من المصالح العامة.[١]

ومقصدي من هذا التوسع في ذكر المؤلفة قلوبهم بيان أن غير المسلمين قد شملتهم أحكام الشريعة في السـلم بل في العطاء، فليس الأمر بيننا وبينهم السيف فقط، فللسيف حالات محددة لا يجوز تعميمها مع الآخر.

وللشـيخ إبراهيم بن محمد المزني كتاب رائع حول (التعامل مع الآخر: شـواهد تاريخية من الحضارة الإسـلامية)،[٢] بين فيه كثيراً من الشـواهد على العمل الخيري ونتائجه الطيبة على غير المسلمين من جهة، وعلى الإسلام من جهة أخرى، حين يؤول الإحسان إلى هؤلاء في النهاية إلى إسلامهم أو حيادهم.

فممـا جـاء في هذا الكتاب، مـا رواه أبو عبيد في كتاب الأموال عن سـعيد بن المسـيب: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدَّق بصدقة على أهل بيت من اليهود، فهي تجري عليهم [٣]، وأنَّ صفيَةَ زوج النبي صلى الله عليه وسلم تصدَّقت على ذوي قرابة لها، فهما يهوديان [٤].

(١) فقه الزكاة، ٢/ ٥٩٥-٥٩٦.

(٢) ص: ١١٦-١١٩.

(٣) أبو عبيد، كتاب الأموال، ص: ٦٠٥.

(٤) كتاب الأموال، ص: ٦٠٥.

واستمرَّ هذا النهج من قِبَل الخلفاء والولاة، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمر بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي. قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: اسأل الجزية والحاجة والسن. فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء ممَّا في المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال. فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم (إنما الصدقات للفقراء والمساكين). والفقراء هم الفقراء المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[١]. قال أبو بكر: «أنا شهدت ذلك من عمر ورأيت ذلك الشيخ»[٢].

يقول الشيخ محمد الغزالي معقباً على هذه القصة: « والعاطفة التي جاشت بالرحمة في نفس عمر رضي الله عنه نحو هذا اليهودي البائس، نبعت من قلب متحمس للإسلام، متمسك بمبادئه، وقد كان عمر شديداً في دين الله، ولكن الشدة التي عرف بها لا تعني التعصب الأعمى والضغينة القاسية على المخالفين للدين من أهل الكتاب الأولين »[٣].

وتكرر الموقف من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد روي أنه كان في الجابية من أرض دمشق، فمر على قومٍ من النصارى مجذومين، فرقّ قلبه لحالهم، وأمر بهم أن يعطوا من الصدقات، وأن يُجرى عليهم القوت[٤]. ويعلِّق القرضاوي على هذا الإجراء بقوله: «بهذا تقرَّر الضمان الاجتماعي في الإسلام، باعتباره مبدأً عامًا يشمل أبناء المجتمع جميعًا، مسلمين وغير مسلمين، ولا يجوز أن يبقى في المجتمع المسلم إنسانٌ محرومٌ من الطعام أو الكسوة أو المأوى أو العلاج، فإنَّ دفع الضَّرر عنه واجب ديني، مسلمًا كان أو ذميًا »[٥].

---

(١) صبحي الصالح، النظم الإسلامية، ص: ٣٦٥.

(٢) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص: ١٢٦.

(٣) التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، ص: ٤٥-٤٦.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص: ١٣٥.

(٥) يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص: ١٧.

وفي عقـد الذمَّة الذي كتبه خالد بن الوليـد رضي الله عنه لأهل الحيرة بالعراق، وكانوا من النصـارى جاء فيه: «وجعلت لهم: أيّما شـيخ ضعف عن العمـل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدَّقون عليه، طرحت جزيته وعِيل من بيت مال المسـلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسـلام، فإن خرجوا إلى غير دار الهجرة ودار الإسـلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم »[١].

وكان هـذا في عهد أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنـه، وبحضرة عدد كبير من الصحابة، وقد كتب خالد به إلى أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، ولم ينكر عليه أحد، ومثل هذا يُعَد إجماعًا.

وهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله يكتب إلى عدي بن أرطاة عامله على البصرة: «أما بعد، فإنَّ الله سـبحانَه إنَّما أمر أن تؤخَذَ الجزيةُ ممّن رغِب عن الإسـلام، واختار الكفر عِتيًّا وخُسرانًا مبينًا، فَضَعِ الجزيةَ على من أطاق حملَها، وخَلِّ بينهم وبين عمارة الأرض، فإنَّ في ذلك صَلاحًـا لمعاش المسـلمين، وقـوة على عدوهم. وانظر مـن قِبلكَ من أهل الذمَّـة، مَن قد كَبُرَتْ سـنُّه وضعفت قوتُه، وولَّت عنه المكاسـب، فأجرِ عليه من بيت مال المسـلمين ما يصلحه. فلو أنَّ رجلاً من المسلمين كان له مملوك كبُرت سنُّه، وضعفت قوته، وولَّت عنه المكاسب، كان من الحـق عليـه أن يَقُوّتـه حتَّى يفرِّق بينهما موت أو عِتق، وذلك أنه بلغنـي أن أمير المؤمنين عمر مرَّ بشيخ من أهل الذمَّة، يسأل على أبواب الناس، فقال: «ما أنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية في شَبابك، ثم ضيَّعْناك في كِبَرِك». ثم أجرى عليه من بيت المال ما يُصلحه».[٢]

وكان بعـض أجـلاَّء التابعين يعطون نصيبًا من صدقة الفطر لرهبان النصارى ولا يرون في ذلـك حرجًـا.[٣] بل ذهب بعضهم -كعكرمة وابن سـيرين والزهري- إلى جـواز إعطائهم من الزكاة نفسها.

(١) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص: ١٤٤.
(٢) أبو عبيد، كتاب الأموال، ص: ٥٠-٥١.
(٣) أبو عبيد، كتاب الأموال، ص: ٦٠٦.

وروى ابن أبي شيبة عن جابر بن زيد: «أنه سُئل عن الصدقة فيمن توضع؟ فقال: في أهل ملتكم من المسلمين، وأهل ذمتهم... »[١].

ويذكر ابن العربي في أحكام القرآن والقرطبي في تفسيره وغيرهما أن إسماعيل بن إسحق القاضي دخل عليه ذمي فأكرمه، فأخذ عليه الحاضرون في ذلك، فتلا عليهم قوله تعالى: ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ...** ﴾، الآية.[٢]

بل ذهب ابن العربي إلى أن قوله تعالى: ﴿ **وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ** ﴾ معناه أن تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة، وليس يريد به من العدل، فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل».[٣]

وهذا السلطان صلاح الدين الأيوبي يسجِّل له التاريخ شاهدًا من شواهد هذا التكافُل الإنساني حيث نمى إليه وهو في بيت المقدس أنَّ في المدينة شخصين إفرنجيين مسنَّين يتجاوز عمرهما المئة سنة، وكانا قد حضرا إلى القدس أيام غودفروا دي بويون، فأخذته الشفقة عليهما وقرَّر لهما معاشًا دائمًا، ليكفيهما مؤونة الحاجة طيلة ما بقي من حياتهما[٤].

ومن هذه الشواهد تظهر قيمة التكافل الاجتماعي داخل مجتمعات المسلمين عبر عصورهم، ويتأكد حرص الإسلام على هذا المبدأ العظيم دون نظر إلى من يستفيد من هذه الرعاية الإنسانية النبيلة ما دام بين المسلمين وتحت لوائهم.

وبهذا نعلم أن الولاء والبراء لا يعني الإعراض عن غير المسلم كاملاً، فهناك من الأحكام ما يتطرق إليهم، وما تشريع زواج المسلم من أهل الكتاب، وأكل طعامهم، وأحكام أهل الذمة عموماً إلا بعض أمثلة على مراعاة الإسلام لغير المسلمين، وهناك البر والإحسان إلى

(١) ينظر: يوسف القرضاوي. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ص: ٤٧.
(٢) أحكام القرآن، ٤/ ٢٢٨، الجامع لأحكام القرآن، ١٨/ ٦٠.
(٣) أحكام القرآن، ٤/ ٢٢٨.
(٤) سعيد أحمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، ص:٣٩٧.

الآخريـن عموماً، وفي هذا مـا فيه من بيان جانب الرحمة والتكافل والتعاون بين الناس، مما يبين رفعة الإسـلام وسـمو أحكامه، فهل نصل إلى مسـتوى من المعرفة لندرك مثل هذه الصفحات المشرقــة ؟

وخلاصة القول إن الإنسان في نظر الإسلام له قيمتان: قيمته كإنسان، وهي قيمة توهب له في طينتـه الأولى بما وضع الله فيها مـن تكريم، وليس لظرف من الظروف، ولا لأحد من الناس أن يغير منها شـيئاً. وقيمته ككائن اجتماعي، تعطى له وهي التي تزود الإنسان بالفاعلية والعزم لأداء وظيفته ودوره [١].

أمـا القيمـة الأولى فهي التي نعول عليها في العمل الخيري، لمـا لهذا العمل من آثار جمة على الأشـخاص والمجتمعات على حد سـواء، ولما ينتظر من آثار تشجع على ردم الهوة بين الثقافات والشعوب، وتمد جسوراً كثيرة بين الدول والشعوب، وهذا بعينه أمر مرغوب، وذو شأن عظيم لصالح إسلامنا العظيم .

* * *

(١) ينظر بن عيسى باطاهر، فاعلية المسلم المعاصر: رؤية في الواقع والطموح، ص: ٦٠-٦١ .

المبحث الرابع
البعد الدعوي للعمل الخيري

مـن خـلال ما مضى نـدرك أهمية رعاية الجانب الخيري في دعم الدعوة الإسـلامية بشـكل عـام، وكـما مر معنا فلا نجعل العمـل الخيري شرطاً للدعوة ابتداءً، بـأن لا يقدم عمل الخير إلا بضمان التحول إلى الإسـلام، بل لإنسانية الإنسـان، وبعد ذلك أسلم هذا الشخص أم لم يسلم، فالأمر له، فلا نريد من العمل الخيري أن يكون وسيلة إكراه في الدين بطريقة غير مباشرة، فالآية التي مرت معنا (لا إكراه في الدين) أصل من أصول ديننا، لا يجوز أن نلتف عليها، ولنتذكر بأن الله تعالى قال لحبيبه صلى الله عليه وسـلم في أكثر من موضع: ﴿ **إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ** ﴾، وقوله: ﴿ **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾، والعمل الخيري مع البلاغ والبيان يشكل آخر وسائل الدعوة، وبعد ذلك فالأمر في اتباع الدين أو رفضه راجع إلى الإنسان نفسه.

إن حقيقـة الواقع المعيش، حيث الإفلاس الحضاري لدى كثير من الشـعوب الغربية رغم تقدمهـا المادي، ومع تزايد ظاهرة الهروب مـن طغيان المادة والفراغ الروحي إلى الأمن الحقيقي المتمثـل في المنهج العقلاني المتكامل المتوازن الصحيح وهو الإسـلام، وذلك بإسـلام عدد كبير من الناس غربًا وشرقًا، فلا بد من أن يثير ذلك في نفوسنا نحن المسلمين شعور الاعتزاز والثقة بهـذا الدين الذي حاول كثيرون تشـويهه ورميه بكل صفات النقـص والرجعية والتخلف، وإذ بالأيام تثبت فشـل المناهج كلها إلا هذا المنهج الكفيل بإيصال السـعادة الحقيقية للإنسان، حين يلبي حاجاته كلها، بتوازن وشـمول وواقعية تشـهد كلها بأن هذا الدين من عند الخالق الأعلم بما يصلح لهذا الإنسان.

إن الدعوة في الإسلام ثمرة مباشرة لتفاعل المسلم مع دينه وشعوره بالمسؤولية، وهو شعور نبيـل لأنـه يتذكر مقولة أن من نعم الله علينـا حاجة الناس إلينا، بل حاجة الكـون كله إلينا [١]، ومن هنا كانت هذه الرعاية القرآنية لها في مناهجها وأسسها.

---

(١) ذكر هذه الجملة محمد عبد الله دراز في كتابه: دراسـات إسـلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، (دار القلم، الكويت، ١٩٨٠)، ص: ٥٤-٥٥.

وعلى وجه العموم، فصحيح إنه لا يمكن لنا أن نفصل كلياً بين العمل الخيري والعمل الدعوي، ولكن الأمر المهم هو في الربط القسري بينهما، فهذا لا يجوز، ولعل الأمثلة التي بيناها من سيرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وصحبه الكرام رضوان الله عليهم، والتابعين وغيرهم من قادة الأمة وعلمائها عبر التاريخ، ما يبين أن عمل الخير مقصود لذاته، فهو هدف مستقل، وليس وسيلة لهدف آخر هو تعبيد الناس لربهم، فإن كانت النتيجة إسلام هؤلاء، فبها، وإلا فلا يشترط إسلامهم مقابل عمل الخير، ونحن على يقين بأن مجرد عمل الخير لهؤلاء لن يكون مآله إلا إلى خير ولو بعد حين.

وإضافة لما مر معنا من روايات، نذكر غيرها مما له علاقة بموضوع الدعوة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عايه وسلم أنه كان يأمر بأن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام، حتى نزلت هذه الآية: ﴿ **لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ** ﴾،[١] فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين.[٢]

وقد ذكر الشوكاني في تفسيره مجموعة من الروايات في الآية أعلاه، منها عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان أناس من الأنصار لهم نسب وقرابة من قريظة والنضير، وكانوا يتقون ألا يتصدقوا عليهم، ويريدونهم أن يسلموا، فنزلت «ليس عليك هداهم..»».

ومنها عن ابن المنذر عن عمرو الهلالي قال: « سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أنتصدق على فقراء أهل الكتاب؟ فأنزل الله الآية ».

ومنها عن ابن أبي حاتم عن عطاء الخراساني قال في قوله: ﴿ **وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ** ﴾، قال: إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله »[٣].

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٢.

(٢) ينظر كتاب الولاء والبراء، عبد الرحمن عبد الخالق، ص: ٥٤-٥٥، الدار السلفية، الكويت.

(٣) انظر هذه الروايات في فتح القدير للشوكاني، ١/ ٣٦٩.

وقال عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما: إن عرى الدين وقوامه الصلاة والزكاة لا يفرق بينهما، وحج البيت وصيام رمضان، وإن من أصلح الأعمال الصدقة والجهاد. نعم، الصدقة، هكذا على إطلاقها.

إن أهداف الإسلام من العمل الخيري للمسلم معروفة بينة، وبالنسبة للآخرين فهي أبعد من تقديم الخير لهم فقط، فهي إعلان عن مبادئ الإسلام الرحيمة التكافلية العادلة، وهي توضيح لمنهج الإسلام الشمولي في معالجة شتى مناحي الحياة، وهي بيان بأن هذا الدين قد بلغ من العمق في رعاية الإنسان ما بلغ، فلا يصلح للحياة غيره، فهو الأدعى بأن يحكم وأن يسوس حياة الناس على اختلاف احتياجاتها، وإن العمل الخيري في الإسلام قد غدا وسيلة عملية لترابط الشعوب، ولتنمية العلاقات الدولية.

إن علينا أن نعترف بأن الأزمات الأخيرة التي تعرض لها العالم، وضخمتها وسائل الإعلام الغربية على وجه التحديد، قد أثرت تأثيراً كبيراً على العمل الخيري الإسلامي، وزادت في حجم معاناة الناس في المناطق التي تحتاج إلى الدعم المادي، وقد صنف هؤلاء وأولئك العمل الخيري على أنه لون من ألوان الإرهاب، ولا بد من تجفيف منابعه، فكان التعطيل لهذه الجمعيات والمؤسسات، وكان حرياً بأصحاب النفوذ أن يفصلوا بين العمل الخيري الإنساني، وبين أي عمل آخر، كي لا توضع أمامه الحواجز.

ونحن على يقين بأن الآخر حين يفقد صوابه فإنه يتخبط ويبطش ويقتل، وهذا ما حصل وسجله التاريخ ويسجله، حين يعامل الناس من مسلمين وغير مسلمين كما تعامل الحيوانات، ولكن لا يمكن لهؤلاء أن يدوموا على حالهم، فالخير والحق باقيان، وغيرهما من الباطل والشر زائل.

يقول الشيخ صالح بن سليمان الوهيبي بأن الحملة العلمانية والليبرالية التي يقودها مجموعة من الكتّاب في منطقة الخليج بالذات، ويريدون تصفية العمل الخيري الدولي متذرعين بحجج

واهية يقصدون من ورائها تقويض العمل وتصفيته. وقد تجرأ هؤلاء في حملتهم على المؤسسات والعاملين فيها، ونادى بعضهم بإغلاق بعض المؤسسات الخيرية زاعماً أنها استنفدت الغرض من قيامها. وهذا يبين بعض التحديات والجهات المتربصة بالعمل الخيري داخلياً وخارجياً، وينبغي ألاّ يؤدي ذلك إلى إخافة العاملين في المؤسسات أو المتبرعين لها أو المتعاطفين معها؛ لأن العمل الخيري باقٍ ما بقي الإسلام، وما المؤسسات إلا أدوات لتنفيذ المبادئ الإسلامية الحاضّة على فعل الخير، وإسداء النفع للناس وخدمتهم.

وتقع على عاتق المؤسسات الخيرية مسؤولية الاستفادة من هذه المرحلة لمراجعة أوضاعها، والرقي بمستويات العمل فيها، وتحديد أولوياتها في العمل، ومن أهم العناصر التي ينبغي مراعاتها: هو الثبات على هذا الطريق، والإحسان فيه، والصبر على ما يرد من جرائه من إشكالات.(١)

إن الذي يهمنا كأصحاب عقيدة ومنهج وفكر أن ننتبه لديننا وعقيدتنا، أن نفقه وندرك رحابة ديننا، فالثبات على المبدأ من أهم متطلبات المرحلة، ومن أجدى عرى العمل الدعوي، والأصل أن لا يهتز العمل الدعوي، ولا العمل الخيري، فكلاهما مطلب ديني وركن عظيم لا يمكن التنازل عنه.

إنه قد تختلف السياسات والأولويات، ولكن أصل الشيء لا يجوز أن يترك، وأعني هنا كلا الأمرين من عمل الخير للناس كافة، وتبليغ الدعوة من جهة أخرى، فما علينا إلا إعادة النظر والترتيب للأولويات، مع الاستعانة بالله تعالى، وطلب العون منه سبحانه، وكل ذلك داخل في أخذ الأسباب.

وما أصدق كلمات الشيخ الغزالي وهو يقارن شخصية المسلم المعاصر بالسلف، وينبه إلى

---

(١) صالح بن سليمان الوهيبي، مقالة بعنوان: العمل الخيري والمتغيرات الدولية: التحديات والأولويات والمستقبل، وهي أفكار قدمت للمؤتمر الخليجي الأول للجمعيات والمؤسسات الخيرية، ينظر مجلة البيان، العدد ٢٠٨.

الخلط الفكري الذي أنتجته اجتهاداتنا غير الصحيحة، فيقول: «إن الأجيال المنتمية للإسلام في هذا العصر تنقصها التربية النفسية والفكرية التي برز فيها السلف الأول، وأضحوا بها قادة الدنيا بإعجاب وحفاوة. وكثيراً ما نبهت إلى أن الأوروبيين يهتمون بالأصول لا بالفروع، وأنهم يزنون النهضات بثمراتها المادية والأدبية معاً، هم لا يكترثون للياباني إذا أكل الأرز بالأقلام أو بالعصي، إنما يرمقونه بدهشة، وهو يبدع الأجهزة أو وهو يقلدهم في عمل، ويصل بعقله اللماح إلى أبعاده، ثم يسبقهم إلى إنتاجه. لكن كثيراً من مسلمي العصر الحاضر جمعوا شعب الإيمان في خليط منكر، كبروا فيه الصغير، وصغروا الكبير، وقدموا المتأخر وأخروا المتقدم، وحذفوا شعباً ذات بال وأثبتوا محدثات أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، فأصبح منظر الدين عجباً».[١]

ومن الأمور المهمة في الحديث عنها في سياق الحديث عن البعد الدعوي للعمل الخيري، وما يُشعر المسلم بأهمية دوره في هذه الحياة: الحديث عن أهمية البناء الروحي للنفس الإنسانية، فلا بد للإنسان من أن يفكر جيدًا في أصل نشأته، وفي الهدف من خلقه، وإلى أين هو سائر وما هي نهايته ومستقبله، كل ذلك ليكون مادة دعوته مع الآخر، فالله سبحانه وتعالى يحثنا على التفكر في هذا الأمر حين يقول: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** ﴾،[٢] فإننا لم نخلق عبثًا، وما دامت هذه هي الحقيقة فإن الله يوضحها في أكثر من موضع وأسلوب، فيقول مخبرًا عن العبادة: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾،[٣] ويقول مخبراً عن الخلافة في الأرض: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾،[٤] ويقول مخبراً عن الأمانة وحملها: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** ﴾[٥]، وفي هذا أيما تكريم للإنسان، كما بينا سابقاً.

(١) محمد الغزالي، مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه؟ ص: ٧٣.
(٢) سورة المؤمنون/ ١١٥-١١٦.
(٣) سورة الذاريات: ٥٦.
(٤) سورة البقرة: ٣٠.
(٥) سورة الأحزاب: ٧٢.

ولما أخبر الله عن الهدف من الخلق بصّر الإنسـان بأصل نشـأته، فهو من مخلوقات الله التي لا تحـصى، وأنـه مبتلى بالتكليـف، فأخبر الله عن الأصل والنشـأة، فذكر الـتراب وما يصير إليه مـن طـين وصلصال، فهي الطبيعة الأولى التي منها آدم، ثـم نفخ الله فيه من روحه، لتمتزج قيم السماء بالأرض، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُـمَّ مِـن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ...** ﴾ [(١)]، وقال: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَـانَ مِن سُـلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُـمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُـمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَـوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَـأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَـنُ الْخَالِقِينَ** ﴾ [(٢)]، وقال: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَـرًا مِن صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْـنُونٍ * فَإِذَا سَـوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَـاجِدِينَ** ﴾ [(٣)]، فهذا الإخبار عن الخلـق من تـراب وروح إنما يدل على الطبيعة المزدوجة للإنسـان، وما لهـذا الأمر من مراعاة في التربيـة والتوجيـه [(٤)] . وبهـذا يراعي الداعي في المدعو مسـألة الـروح الفقـيرة إلى الرعاية، وما المشـاعر الإنسانية التي تدعو إلى التعاطف بين الأمم والشعوب إلا مغذية لهذا الجانب الروحي الجميل.

أمَّـا النهايـة والمصير فقد بينـه الله تعالى، وهو مرتبط بما قدم الإنسـان لنفسـه في هذه الحياة الدنيا، فتحدثت آيات القرآن في مواضع وسـور كثيرة عن الآخرة وأوصافها وأهوالها ونعيمها أو عذابهـا، كل ذلك ليعقله الإنسـان ويفكر فيه، وما كان لعاقل أبـدًا أن يترك التفكير في مصير حياة دائمة ليلهو بأمر حياة فانية.

---

(١) سورة الحج: ٥.

(٢) سورة المؤمنون: ١٢-١٤.

(٣) سورة الحجر: ٢٨-٢٩.

(٤) تخبر الآيات المذكورة أعلاه عن الخلق من تراب وما يصير إليه هذا التراب، كما تذكر النطفة وما تصير إليه مـن علقـة ومضغة مخلقة وغير مخلقـة، أما التراب فهو وصف خلق آدم، وأمـا النطفة وما تصير إليه فهي لبنيه من بعده بطريقة التزاوج التي سنها الله في خلقه سبحانه.

وإضافة لهذا كله فقد أخبر الله عن الإنسان بأنه ضعيف، وعجول، وجهول،[١] وأخبر عن طبيعة الحياة الدنيا بما فيها من ابتلاءات ومنغصات وفتن وشدائد ومصائب، فهي أولاً وآخرًا دار ابتلاء، فعندها لا بد من التفكير فيما يستعين الإنسان به على الهدف الذي خلق لأجله، وعلى هذه العقبات والابتلاءات، وأن لا تؤثر عليه سلبًا في هذه الحياة، وهنا ندرك أهمية الإيمان واليقين والجانب المعنوي، حيث الأخلاق الإسلامية العظيمة، بل الجانب الروحي عمومًا، وهذا من أهم ما يمكن أن يركَّز عليه في الدعوة مع الآخر، خاصة حين يكون محتاجاً مبتلى، فنواسيه بمثل هذه المعاني الشاملة، فيجدر بالعاملين في الحقل الخيري الانتباه إليها.

ولا بد من تأكيد أن القرآن يرسخ مبدأ العمل الصالح في عمومه ويحث عليه،[٢] وأن مردود هذا العمل إنما هو على النفس، وبالتالي على المجتمع، قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا** ﴾،[٣] ويبين كذلك أن صاحب العمل الصالح يحيى حياة طيبة في الدنيا، ثم الفوز الأكيد في الآخرة، قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾.[٤]

ولا بد من الإشارة إلى أن الإيمان بلا عمل يبقى ناقصًا، والقرآن لا يذكر الإيمان إلا ومعه العمل الصالح، وفي هذا أوضح رد على كثير من أبناء الأمة الغافلين التائهين، حين يزعم أحدهم الإيمان بل كمال الإيمان ولما يفعل من الطاعات شيئاً، بل إنه لا يسلم من فعل ما يغضب الله تعالى.

---

(١) قال تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا** ﴾، (النساء: ٢٨)، وقال: ﴿ **وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** ﴾، (الأحزاب: ٧٢)، وقال: ﴿ **وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا** ﴾، (الإسراء: ١١).

(٢) هناك حوالي ثمانين آية موضوعها الصلاح والإصلاح والعمل الصالح.

(٣) سورة فصلت: ٤٦، ومثلها قوله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ** ﴾ (الجاثية: ١٥).

(٤) سورة النحل: ٩٧.

ولكي يرغب الله في العمل الصالح فقد جعل سبحانه الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بنفسها، فلهذا الأمر آثاره الواضحة في الحث على عمل الخير وبيان سعة رحمة الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ **مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ (١)، ولا بد من الإشارة إلى أن العمل الصالح مفهوم عام يشمل الفرائض وغيرها، وفي ذلك أكبر دافع للإنسان أن يصبح الصلاح والإصلاح شعاره ومبدأه، ولنا أن نتخيل مجتمع الصلاح والإصلاح كيف يكون أبناؤه وكيف يكون كيانه؟

وأخيراً، أنبه إلى أهم أسس الدعوة التي ينبغي على الداعي مراعاتها وهو يدعو إلى الله تعالى، سيما مع الآخر، وفي ظرف تقارب المشاعر الإنسانية، ومنها:

١- الرحمة بالعباد وإرادة الخير لهم: ولذلك ذكر الله تعالى الخير قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: ﴿ **وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (٢)، وذلك إشارة إلى أن يتذكر الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن الهدف من عمله هو إرادة الخير للناس. ولا أدل على مبدأ الرحمة من حديث النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وهو يمثل لنفسه مع الناس برجل أوقد نارًا، فجعل الفراش والهوام تقع في النار، وهو صلى الله عليه وسلم يصدها عن النار وآخذ بحجزهم عن النار(٣)، وهذا كله مؤسَّس على قول الله رب العالمين سبحانه: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ (٤)، وقوله

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٠. وقد بينت هذه الآية ما أبهم في مواضع أخرى من كتاب الله عن ثواب الحسنة، فقد بينت آيات أخرى أن من يفعل الحسنة فله خير منها، أما عن حقيقة هذا التفضيل فقد بينت الآية من سورة الأنعام شيئاً من حقيقته، ولا أقول كل حقيقته، فالله يضاعف الحسنة إلى ما شاء سبحانه، فقد يضاعفها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فقد رواه البخاري في صحيحه برقم: ٣٤٢٦، ورواه مسلم برقم: ٢٢٨٤، وبرقم ٢٢٨٥ من رواية جابر بن عبد الله.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٧.

تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾،[(١)] وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [(٢)]، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [(٣)]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: « إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» [(٤)]، وقال لأبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما لما بعثهما إلى اليمن: « ادعوا الناس، وبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا ».[(٥)]

وهذا الأمر يقودنا أيضًا إلى ما يجب أن يتحلى به الداعية من أخلاق سامية، فلا بد أن يحرص على إرادة الخير للمدعو، بغض النظر عن جنسه ولونه ولغته، وأن يشعره بحرصه على إيمانه والتزامه ويتلطف له، ونلحظ هذا الأمر من خطاب الأنبياء لأقوامهم إذ قالوا لهم: «يا قوم» وهي عبارة مشعرة بانتمائه لهم وحبه لهم، ونلحظ ذلك أيضًا من تصريح بعض الأنبياء والصالحين لأقوامهم قولهم: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ [(٦)]، فلا بد أن يكون قدوة كي يتبعه الناس، وهكذا كان أنبياء الله تعالى، وخير مثال عليهم هو إبراهيم عليه السلام مع أبيه[(٧)]، وما أمر الله به موسى وهارون عليهما السلام من أن يقولا لفرعون الذي طغى: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [(٨)].

(١) سورة التوبة: ١٢٨.
(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.
(٣) سورة البقرة: ١٨٥.
(٤) رواه البخاري في صحيحه برقم: ٢٢٠، و ٦١٢٨.
(٥) رواه مسلم في صحيحه برقم: ٢٠٠١.
(٦) كما في قول نوح لقومه: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾، (الأعراف: ٥٩)، وهو نفسه قول هود لقومه، (الأحقاف: ٢١)، وكما في قصة مؤمن آل فرعون حين قال لقومه: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾، وقوله: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾، الآيتان: ٣٠، ٣٢ من سورة غافر.
(٧) هناك أكثر من سورة توضح هذا الأمر، انظر على سبيل المثال الآيات: ٤١-٥٠ من سورة مريم، حيث تذكر أرق عبارات الترحم على أبيه رغم ضلاله وعدوانه على إبراهيم.
(٨) سورة طه: ٤٣-٤٤.

٢- أن تكون على بصيرة وعلم: ومصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)، فلا بد من العلم، ولا بد له من أن يسبق العمل،(٢) وقد ورد عن معاذ بن جبل قوله: «العلم إمام والعمل تابعه»،(٣) وبدونه فإن الداعي ربما يضر ولا ينفع، وينفّر ولا يشوّق، ويفرق ولا يجمع. فلا بد للداعي من أن يلم بجملة من العلوم المهمة في هذا المقام، إذ العلم مراتب، فهناك صلب العلم وملح العلم وما ليس من صلبه ولا من ملحه،(٤) وأهم ما يركز عليه الداعية مقاصد الشريعة حيث الضروريات الخمس والحاجيات والتحسينيات ومكملات المصالح، ثم يعلم الأحكام الشرعية ودرجاتها، وأن الأحكام ليست كلها في درجة واحدة من حيث الثبوت، واختلاف مراتب الناس في علمهم وما يصلح لكل صنف، وشروط التصدي للمنكر، وفقه الأولويات وفقه الواقع وفقه الفروق (٥) . ولا بد من أن نشير إلى أن الداعية المتعلم أكثر ثقة بنفسه من غيره، ولهذا الأمر انعكاسه على المدعو.

٣. الحكمة والموعظة الحسنة والقول الحسن، والمجادلة بالتي هي أحسن: يقول الله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٦)، ويقول: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

(١) سورة يوسف: ١٠٨.

(٢) انظر محمد أمين بني عامر، أساليب الدعوة والإرشاد، (مركز كناري، اربد، الأردن، ط/ ١، ١٩٩٨)، ص: ١٠٩.

(٣) وقد وضع الإمام البخاري بابًا في صحيحه/ كتاب العلم، عنوانه: «باب: العلم قبل القول والعمل» ولهذا الأمر أدلته من الكتاب والسنة، لمزيد معلومات انظر القرضاوي، يوسف، في أصول الدعوة: مقتبسات أعدها مصطفى ملائكة، (مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ ١، ١٩٩٩)، ص: ١٥-١٧.

(٤) ذكر هذه التقسيمات أبو إسحق الشاطبي، إبراهيم، الموافقات في أصول الشريعة، (دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء)، ١/ ٤٣.

(٥) وقد ذكر القرضاوي ستة مرتكزات للفقه الذي يحتاجه الداعية، وهذه المرتكزات هي: فقه الاختلاف، فقه الموازنات، فقه الأولويات، فقه النصوص في ضوء المقاصد، فقه الواقع، فقه التغيير، وقد جمعها مصطفى ملائكة في كتاب أصول الدعوة، (مرجع سابق).

(٦) سورة البقرة: ٨٣.

وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[١]، ويقول عن أهل الكتاب خاصة: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[٢]. ومن الحكمة مراعاة ما يلي:

أ- التدرج: وهذا أمر منطقي، إذ لا يعقل أن نطلب من الإنسان كل شيء في وقت واحد، والقرآن نفسه إنما نزل في ثلاثة وعشرين عامًا تدرج خلالها مع المؤمنين، وهنا لا بد من ملاحظة الأولويات، فالتركيز يكون على الأهم حيث الإيمان، ثم المهم والأقل أهمية، ومن العبث الخوض في الجزئيات والمطالبة بها وترك الكليات، فلا بد من التأسيس ثم الانطلاق في البناء كي يكون على أفضل ما يكون وأمتن ما يكون.[٣]

ب- مناسبة المقال للمقام: فقد قيل: «لكل مقام مقال»، وهذا يدل على ضرورة موافقة الكلام لمقتضى الحال، وهي البلاغة كما عرفها أهلها،[٤] فلا بد من التعرف على نفسية المدعو وأحواله وثقافته كي يتناسب الخطاب مع المقام، وعمومًا فإن ثمة مؤثرات على الإنسان ينبغي الانتباه إليها ومراعاتها وهي: عوامل داخلية نفسية وعصبية، وعوامل خارجية حيث البيئة (الأسرة والجيران والأصدقاء...)، وعوامل مناخية وعوامل بيئية.[٥] كما أن الناس أصناف، منهم العالم والجاهل والصغير والكبير والغني والفقير، والمسلم وغير المسلم، ولكل أسلوبه[٦].

---

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٣) انظر عبد الله الزبير عبد الرحمن، من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق، (كتاب الأمة، قطر، العدد ٥٦، ١٤١٧ هـ)، ص: ١١٧-١٢٢، ١٣٠-١٣٩.

(٤) انظر السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، (دار الكتب العلمية، بيروت)، ص: ٢٩.

(٥) لمزيد من التفصيل انظر محمد زين الهادي، علم نفس الدعوة، (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط/ ١، ١٩٩٥)، ص: ١٠٠-١٣٢.

(٦) انظر عبد الكريم بكار، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، (دار القلم، دمشق، ط/ ١، ١٩٩٩)، ص: ٣٠٣-٣٠٤؛ أساليب الدعوة والإرشاد، (مرجع سابق)، ص: ٥٣، ٥٦.

ج- استغلال الفرص المناسبة للدعوة والتذكير والتي يشعر الداعي بأنها مناسبة للمدعو: فهذا نبي الله يوسف يعرض الدعوة على الفتيين في السجن عندما قصّا عليه رؤياهما، فدعاهما ثم أوّل لهما ما أرادا [١]. ولا بد من الإشارة إلى التركيز على مرحلة الشباب، فهم أكثر تقبلاً للمغيرات من كبار السن، إذ ما زالت شخصياتهم في طور الإعداد[٢].

د- مراعاة الأولويات: أي وضع كل شيء في مرتبته، فلا يؤخر ما حقه التقديم أو يقدم ما حقه التأخير، ولا يصغر الأمر الكبير ولا يكبر الأمر الصغير، ولا ينظر إلى أمور الدين وأصوله وأحكامه وفرائضه وسننه وآدابه بنفس المرتبة، فأمور الاعتقاد أهم من العمل، والأركان أهم من غيرها، والفريضة أهم من السنة، وهكذا.[٣] ولا يعني هذا تجزيء الدين، بل لا بد من الشمول، ولكن بالتدرج ومراعاة الأهم فالمهم وهكذا.

هـ- الترغيب والترهيب، والتبشير والإنذار:[٤] يقول تعالى: ﴿ **وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ** ﴾ [٥]، وقال: ﴿ **رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾ [٦]، وقال: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾[٧]. ولا بد من تقديم الترغيب والتبشير على الترهيب والإنذار، ولعلنا نسترشد هذا من بعض الآيات وعلى ألسنة بعض الأنبياء حيث ورد الإنذار بعد الدعوة، بمعنى أن الأسلوب الغالب على الدعوة ينبغي أن يكون محاطًا بالتبشير والترغيب، وبعد ظهور علامات الإعراض

(١) كما تبين الآيات: ٣٦-٤١ من سورة يوسف.

(٢) انظر مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، (مرجع سابق)، ص: ٦٩-٧٠.

(٣) في أصول الدعوة، مقتبسات من كتب الدكتور يوسف القرضاوي، (مرجع سابق)، ص: ١٩٥.

(٤) جعل ابن كثير موضوع الترغيب والترهيب الأساس من موضوع الحكمة، انظر ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، (دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠)، ٢/ ٥٩١.

(٥) سورة الأنعام: ٤٨.

(٦) سورة النساء: ١٦٥.

(٧) سورة فاطر: ٢٤، وانظر من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق، (مرجع سابق)، ص: ٨٣-٩٠، ١٠٨-١١٢.

فعندهـا يكـون الإنذار، قال تعـالى معلمًا نبيه محمدًا صلى الله عليه وسـلم: ﴿ **فَـإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُـمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُـودَ** ﴾.(١) ولعل المقصد الرئيس من الترغيب والترهيب هو مخاطبة جوانب النفس كلها، وتربية الوجدان الخلقي والشعور الديني عند المدعو.(٢)

و- تنوع أساليب الدعوة: ولعل في قصة نوح عليه السلام مع قومه خير دليل على ذلك، فقد قـال الله حاكيًـا حاله: ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْـتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْـرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا** ﴾(٣)، ثم انتقل معهـم ليلفت أنظارهم إلى آيات الله في خلق السـماوات والشـمس والقمر والأرض، الخ. وها هـو أيضًـا مؤمن آل فرعون الـذي يكتم إيمانه يتنقل من أسـلوب لآخر في دعـوة قومه، بالعقل وبالعاطفة وباستعراض التاريخ وبالترغيب وبالترهيب لعلهم يؤمنوا أو على الأقل يكفوا شرهم عن موسـى عليه السـلام، ولما اسـتنفد جهده معهم قال: ﴿ **فَسَـتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْـرِي إِلَـى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾(٤). ويدخل في تنوع الأسـاليب دعوة الخصم إلى التفكر بمعـزل عـن غوغائية المجموعة، فلما اتهمت قريش محمدًا صلى الله عليه وسـلم بالجنون قال الله له: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَـدِيدٍ** ﴾(٥)، ومن هذه الأسـاليب ما يسمى بالدعوة الفردية، حيث مواجهة المدعو والمخاطبة عن قرب وسـهولتها وبعدها عن أعين الناس ومسـاعدتها على كشف حقيقة المدعو ومشاعره(٦).

---

(١) سورة فصلت: ١٣.

(٢) انظر دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، (مرجع سابق)، ص: ٦٩-٧٨.

(٣) سورة نوح: ٥-٩.

(٤) سورة غافر: ٤٤، وتمام قصة مؤمن آل فرعون مع قومه في الآيات: ٢٨-٤٤.

(٥) سورة سبأ: ٤٦.

(٦) فيـما يخـص الدعوة الفردية انظر السـيد محمد نوح، فقـه الدعوة الفردية في المنهج الإسـلامي، (دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، ط/ ١، ١٩٩١)، ص:٤١-٤٢.

الخاتمة والنتائج

بعـد أن بحثنـا أهم ما لـه علاقة بالمؤسسـات الخيرية ودورهـا في تنمية العلاقـات الدولية والتواصل الحضاري نخلص إلى ما يلي:

- من أولويات العمل الخيري إيصال الخير إلى الناس، والتخفيف عن آلامهم، وطرد شبح الخوف والفقر عنهم، وفي هذا تيسير على الناس من جهة، وتكريم لهم من جهة أخرى.

- إضافـة إلى هـذا العمل الرائـد، لا بد من تأهيـل العاملين في الحقل الخـيري بالفكر النير الذي يثري عزائمهم، ويزيد من دافعيتهم.

- لا بد للعاملين في الحقل الخيري من إدراك مبدأ إنسـانية الإنسـان، وأن الناس متساوون في أصل خلقتهم وفي تكريمهم.

- الإنسـان محتـاج لبني جنسـه، حتـى لو كان عـلى غير ملتنـا، فالأصـل في العلاقات بين الشعوب هو البر والإحسان.

- إن التركيز على إنسـانية الإنسـان أمر خير كله، لا بد أن يأتي بخير ولو بعد حين، والمسلم مطالـب بتوثيـق الصلة بين الناس عمومـاً، خاصة عندما يفرقهم الآخـرون، وفي هذا نصر لهذا الدين، وإعلاء من شأنه.

- لا يجـوز أن نعلـق الصدقـة وعمل الخير باتبـاع الدين، فالأصل في ديننا أنـه (لا إكراه في الدين)، ولكن لا بد من الأسلوب الحسن واستغلال الفرص، لعل ذلك يقود إلى إسلام الناس، أما الربط بين الصدقة والإسلام فغير منطقي.

- مفهوم الولاء والبراء منصرف إلى الموادة والمصافاة وما تابعهما، أما البر وعمل الخير فهو مع الناس جميعاً، حتى الأسير، بل الحيوان، وقـد جاء في شريعتنا ما يؤكد ذلك.

- ينبغـي لمؤهلات الموظـف في العمل الخـيري أن تتجاوز المهنية الضيقـة إلى رحابة الفكر والمشاعر وعلم النفس وطبائع الناس، وكل ذلك له الأثر الأكبر في توضيح معالم الدين الحقيقية، فنحن أهل دين الرحمة، ورسول الرحمة.

- لا يعنـي هـذا كله أن نلغي المبادئ العامـة الواضحة، كمفهوم الجهـاد والأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكر، والبراء، وما شـابه ذلك، فكل في موضعه المحـدد، ولا يجوز خلط المفاهيم والأوراق.

* * *

المصادر والمراجع

- بطاهر، ابن عيسى، فاعلية المسلم المعاصر: رؤية في الواقع والطموح، (دار البيارق، عمان، ط/ ١، ١٩٩٧).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، المطبوع مع فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار الفكر، بيروت).
- برجاوي، سعيد أحمد، الحروب الصليبية في المشرق.
- البلاذري، فتوح البلدان.
- بني عامر، محمد أمين، أساليب الدعوة والإرشاد، (مركز كناري، اربد، الأردن، ط/ ١، ١٩٩٨).
- بكار، عبد الكريم، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، (دار القلم، دمشق، ط/ ١، ١٩٩٩).
- ابن تيمية، أحمد، مجموع الفتاوى، (تصوير الطبعة/ ١، ١٣٩٨هـ).
- ابن حنبل، أحمد، المسند، (المكتب الإسلامي، بيروت).
- دراز، محمد عبد الله، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، (دار القلم، الكويت، ١٩٨٠).
- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، السنن، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر، بيروت).
- السيد محمد نوح، فقه الدعوة الفردية في المنهج الإسلامي، (دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، ط/ ١، ١٩٩١).
- الشاطبي، أبو إسحق، إبراهيم، الموافقات في أصول الشريعة، (دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء).
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط/ ١، ١٩٩٤).
- الصالح، صبحي، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، (دار العلم للملايين، بيروت، ط/ ٦، ١٩٨٢).

- عبد الخالق، عبد الرحمن، الولاء والبراء، (الدار السلفية، الكويت).
- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (دار المعرفة، بيروت).
- عبد الرحمن، عبد الله الزبير، من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق، (كتاب الأمة، قطر، العدد ٥٦، ١٤١٧ هـ).
- أبو عبيد، كتاب الأموال.
- ابن العربي المالكي، أبو بكر محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، ت: عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ ١، ١٩٨٨).
- العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (دار الفكر، بيروت).
- الغزالي، محمد، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، مطبعة حسان، القاهرة).
- الغزالي، محمد، مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه؟ (مؤسسة الشرق، عمان، ط/ ١، ١٩٨٤).
- القرضاوي، يوسف، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي.
- القرضاوي، يوسف ، فقه الزكاة، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ ٢١، ١٩٩٣).
- القرضاوي، يوسف، في أصول الدعوة: مقتبسات أعدها مصطفى ملائكة، (مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ ١، ١٩٩٩).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، (مكتبة الرياض الحديثة).
- ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، (دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠).
- المصطفى ولد سيدي محمد، تأثير منظمة التجارة العالمية على الاقتصاد العالمي.
- ابن منيع، عبد الله، مقالة حول مصرف المؤلفة قلوبهم، مجلة البحوث الإسلامية، العدد التاسع والعشرون، ١٤١٠هـ.
- الهادي، محمد زين، علم نفس الدعوة، (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط/ ١، ١٩٩٥).

- الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة، (دار الكتب العلمية، بيروت).

- الوهيبي، صالح بن سليمان، مقالة بعنوان: العمل الخيري والمتغيرات الدولية: التحديات والأولويات والمستقبل، وهي أفكار قدمت للمؤتمر الخليجي الأول للجمعيات والمؤسسات الخيرية، ينظر مجلة البيان، العدد ٢٠٨.

- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، (دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣).

- أبو يوسف، كتاب الخراج.

❊ ❊ ❊